

سدّ الحسن بن الهيثم

الكاتب



حسن مدن

ليس بناء السدّ العالي الذي يعدّ من أهم إنجازات العهد الناصري في مصر فكرة جديدة. التاريخ يقول لنا إن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله استدعى العالم العربي الحسن ابن الهيثم من موطنه العراق، طالباً منه إيجاد حل لفيضانات نهر النيل المتكررة. اقترح ابن الهيثم يومها أن يبني سدّاً على نهر النيل شمالي مدينة أسوان، وهو، تقريباً، نفس المكان الذي بني فيه السدّ في القرن الماضي، لكن لم تكن التقنيات المطلوبة لإنجاز هذا المشروع الضخم متاحة، وهو ما أدركه ابن الهيثم بعد حين، فخشى على حياته من غضب الخليفة، لأنه وعده بأمر لم يتمكن من إنجازه. تقول الحكايات إن ابن الهيثم، ولاتقاء غضب الخليفة، تظاهر بالجنون، لكن ذلك لم يشفع له عند الخليفة، الذي ربما لم يأخذ هذا الادعاء مأخذ الجد، فصودرت ممتلكاته وكتبه، وأُجبر على الإقامة الجبرية في منزله حتّى اغتيل الحاكم بأمر الله عام 1021م.

ولد ابن الهيثم في مدينة البصرة بالعراق عام 965م، وتلقّى في طفولته وصباه تعليماً جيداً، أتاحه له وضع والده الميسور، وواصل تعليمه في العاصمة بغداد، وفي فترة من حياته عين قاضياً على البصرة، لكنه زهد القضاء والمناصب وانصرف للعلوم، لينأى بنفسه عن الصراعات الدينية التي تفاقمت في تلك الفترة. عاش الرجل فترة طويلة في القاهرة، بل يمكن القول إنه لم يغادرها منذ استدعاء الحاكم بأمر الله، وتوفي ودفن فيها، ولم تكن فكرة بناء السدّ هي الفكرة الوحيدة الرائدة التي تحسب للرجل، فله مؤلفات رائدة تناول فيها الأعمال الأولى لأرسطو وإقليدس وبطليموس وسواهم من فلاسفة الإغريق، ويُعدّ إنجازهُ الأكبر في مجال البصريّات هو العلامة الأبرز على نبوغه في زمن مبكر.

وفق المدارس التي كانت سائدة في القرن العاشر الميلادي الذي ولد وعاش فيه ابن الهيثم، فإن عين الإنسان تخرج

شعاعاً من الضوء يتوزع في مختلف الاتجاهات، ليقع على أي شيء يصادفه ويعيد إرساله إلى العين. فنّد ابن الهيثم هذه النظرية، قائلاً: «إنه إذا كان الضوء الساطع يؤذي العين ويؤلّمها، فكيف يمكن لها أن تصنع ضوءاً ساطعاً»، ليقرر أن مصدر الضوء يأتي من مصادر مثل الشمس والشمعة، ثم ينعكس على الأشياء ليحمل صورتها إلى العين، وبذلك يمكن القول إن ابن الهيثم أوقف الفكرة المقلوبة على رجليها، بعد أن كانت على رأسها. هذه إضاءة سريعة على عَلم عربي، ترينا، ضمن أمثلة أخرى كثيرة، أين كنا، علمياً، وأين أصبحنا

madanbahrain@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024